كتاب خط في الحماسة

Recueil d'anciennes poésies. (Ms.)

كثير من الكتب موسومة « بالحماسة » والمراد بهذا العنوان كل سفر جمع نخبة اشعار في مختلف الابواب يبتدىء اولها بالحماسة. ومن ذلك اسم الكتاب من باب التعميم والاطلاق .

ومن اشهر هذه الكتب حماسة ابي تمام . حتى اذا قيل كتاب «الحماسة» لم يفهم اغلب الناس إلّا هذا السفر الجليل ولهذا تداوله الناس وتكاثبوه ونسخه الخطية المتعددة تشهد بانه مما كان يرغب فيه ويحرص كل اديب على اذخار نسخة منه في خزانته .

ان هناك عدة حماسات لايستهان بها . نعم . انها لم تجمع من رائق الابيات ما جمعه ابو تمام . كلا انه يبقى لها مزية خاصة بها . وكان في جملة ما احرزناه ثلاث حماسات قديمة الخط: واحدة لابن الشجري وواحدة للشيخ ابي الحسن البصري وهي المعروفة بالحماسة البصرية والثالثة الحماسة العسكرية فذهبت مع ماذهب فريسة الجهل والحسد والنار. غفر الله لمن كان سببا لهذه البلوى التي لاتعوض ولا يمكننا ان ننساها .

اما اليوم فقد كتب الينا من طهران (ايران) احد مشاهير الادباء وهو السيد احمد النجفي يصف لنا حماسة لم يعرف هو صاحبها كما لم نهتد نحن اليه فعسى ان يطلع على هذا الوصف احد قراء هذه المجلة ويفيدنا عن اسم صاحبها ودونك هذا الوصف .

[لغة العرب]

عثرت في بعض المكتبات هنا على كتاب نفيس في الاشباه والنظائر الشعرية لم يذكر اسمه ، ولا اسم مؤلفه ، واكثر اشعاره للعرب القدماء ، وقد عرفت في اثناء مطالعتي له ان المؤلف كان معاصرا للصولي . وابن دريد ، وابن الانباري وامثالهم فانه كثيرا ما يقول : حدثنا ابن الانباري . حدثنا ابن دريد ، حدثنا الصولي . وقد رجحت ان يكون كتاب حماسة الخالديين فكتبت

صفحات منه الى حضرة احمد تيمور باشا وطلبت منه ان يقابلها على نسخة حماسة الخالديين الموجودة لديه ، فاجابني انه قابلها بتلك الحماسة من اولها الى آخرها فلم يجد بينهما شبها ما . وانه يرى ان هذا الكتاب نفيس جدا . فرأيت ان انقل لكم بعض صفحات الكتاب ايضا واستطلع رأيكم في ذلك لاني عازم على طبعه :

اول الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم

وتذعر البزل منه حين تبصره حتى يقطع في اعنافها الجرر

ومثله لبعض الرجاز :

تقطع الجرة في اعناقها من حذر المدية وائتلاقها

فهي تسلي الخوف من طراقها تسلي الحرة من عشاقها

ابن الدمينة :

لا حبذا لو كن يقبلن حبذا من الدهر ايام الشباب الصوالح

وحسن عيون كن يقتلننا بها ونحن على جد وهن موازح

وله ايضا :

هل تذكرين اذ الركاب مناخة برحالها لرواح اهل الموسم

اذ نحن نسترق الحديث وفوقنا مثل الظلام من الغبار الاقتم

ونظل نظهر بالحواجب بيننا ما في النفوس ونحن لم نتكلم

اما معنى هذا البيت الاخير فما نظن احدا من قال الشعر قديما وحديثا إلّا ذكر منه شيئا . ولقد رأينا كتابا لبعض مصنفي الكتب قد جمع فيه بعض ما قيل فيه نحو معنى واحد ومن احسن ما نعرف فيه ما انشدنا بعض الكتاب لنفسه :

ومنتظر رجع السلام بطرفه اذا ما انثنى يحكي لك الغصن الدنا

اذا جمل اللحظ الخفي لسانه جعلت له عيني لتفهم اذنا

فلسنا على حمل الرسائل بيننا نريد سوانا مفهما حيثما كنا

كفتنا بلاغات العيون حديثنا فنمن بحاجات النفوس لنا هنا

اعرابي :

لا زعمت عرسي اميمة انني ... جواد واني ان تجلت مصيب
فللحق من مال امرىء الصدق نوبة ... وللدهر من مال الشحيح نصيب

ابن ميادة :

وما اختلجت عيناي إلّا رأيتها ... على رغمها اليها وغيظ الكواشح
فيالليت عيني طال منها اختلاجها ... فكم يوم لهولي بذلك صالح

هذا المعنى في اختلاج العين وخدر الرجل قليل في اشعارهم ونحن نذكر منه ههنا شيئا الى ان نستغرق جميعه في موضع واحد فمن ذلك قول الاقيشر :

اياصاحبي ابشر برؤيتنا الحمى ... واهل الحمى من مبغض وودود
قداختلجت عيني فذل اختلاجها ... على حسن وصل بعد قبح صدود

ومثله في الاختلاج والخدر قول المجنون :

اذا خدرت رجلي اقول ذكرتني ... او اختلجت عيني اقول التلاقيا

وقد تطير بعضهم باختلاج العين فقال :

اذا اختلجت عيني بكيت صبابة ... عليك وخوفا ان ترى الشمتى عيني

ومن المعنى الاول قول الشاعر :

وماخدرت رجلاي إلّا ذكرتكم ... فيذهب عن رجلي ما تجدان
وما اختلجت عيناي إلّا تبادرت ... دموعهما بالسح والهملان
سرورا بما جربته من لقائكم ... اذا اختلجت عيناي كل اوان

ومثله :

وغاب عن عيني حتى اذا ... لم ارج من غيبته اوبا
اختلجت عيني فابصرته ... كأن عيني تعلم الغيبا

ومثله لابن المعتز :

مرحبا باختلاج اجفان عين ... بشرت نفسها برؤية بشر
لك عندي امن من الدمع ان صح ... م الذي قلت لي ولو بعد دهر

ومثله :

اعتبك الدهر وارضاكا ... تبرعا فاشكر له ذاكا
ان الذي ترقبه بالمنى ... اعجله الشوق فلاقاكا

ما اختلجت عيناك إلّا له فبشرت قلبك عينا كا

ومثله :

ظلت تبشرني عيني اذا اختلجت بان اراك ومازالت على حذر
فقلت للعين ان يأت الحبيب كما زعمت اني اذا من اسعد البشر
فما جزاؤك عندي لست اعرفه بلى جزاؤك ان افردك بالنظر
واحجب المقلة الاخرى وامنعها وجه الحبيب كما لم تأت بالخبر

اعرابي .

كان شمبط الصبح في اخرياته ملاءة تجلى عن طيالسة خضر
تخال بقاياه التي اسر الدجى ثمد وشيعا فوق اردية الفجر

الشعر في طلوع الفجر كثير جدا في اشعار المتقدمين والمحدثين. وهو ايضا حسن لكثرة افتنانهم في تشبيهاته ونحن نذكر منه في هذا المورد صدرا صالحا فمن اجود ذلك قول ابن الزبير الاسدي :

حتى تجرد للظلماء يطلبها ورد كأن على جافاته وهجا
كالسيف لوجه الاسوار معترضا ترى به من دم مستحدث ضرجا

قد استوفى في هذين البيتين المعنى وجوده وذاك انه شبه الفجر بالسيف ثم ذكر حمرة الشمس فشبهها بدم في السيف وجعله طريا وكلامه بعد ذلك من افصح الكلام واحسنه .

ولعلي بن جبلة :

وليل دفعنا جانبا من جنوبه عن الصبح حتى لاح وهو صريع
غدا يفرج الظلماء عنه كما فرى شمايله عن منكبيه خليع

مثله لمسلم : اخذن السرى اخذ العنيف الخ

مثله للبحتري : وقاسين ليلا دون قاسان الخ

ومثله لعلي بن الجهم : حتى تولى الليل ثاني عطفه الخ

ومثله لابن المعذل : فسريت في اسد الشرى الخ

ومثله لابن المعتز : مثله للجلق : مثله لاشجع : مثله لذي الرمة - مثله لابن المعتز :

مثله لحميد بن ثور : مثله للشمردل اليربوعي . ومنه اخذ ابن المعتز قوله : والصبح :

مثله لعلي بن جبلة: مثله لابن طباطبا. وله ايضا مثله: مثله لابي نواس: مثله للبحتري: مثله لاعرابي: مثله لاشجع: مثله لابن المعتز: مثله لابن طباطبا. ومثل هذا قول ابن المعتز:

والفجر يتلو المشتري فكأنه ... عريان يمشي في الدجى بسراج

ان تكلم متعنت في معنى هذا البيت فقال هذا العريان الذي ذكره يجوز ان يكون اسود فيفسد التشبيه. قلنا له انما يحمل الشعر على ما يحتمل فمتى عدل به عن ذلك فسد عامته وسقط اكثره ولله در البحتري في قوله يصف الشعر:

والشعر لمح تكفي اشارته ... وليس بالهذر ملولت خطبه

وانما شبه ابن المعتز الصبح حين يبين ضوءه بالانسان الابيض ثم ذكر ان المشتري كالسراج في يده لانه وقت طلوع الفجر اشد اتصالا وابين نورا من الصبح قبل تكامل ضوءه وهذا تشبيه صحيح حسن. ولابن المعتز في المعنى الاول:

اما الظلام فحين رق قميصه ... واوى بياض الصبح كالسيف الصدي

قد اثبتنا قطعة صالحة من نظائر هذا المعنى وتركنا منها اشياء لعلنا نذكرها في موضع آخر ان شاء الله.

النجاشي الحارثي:

ابلغ شهابا وخير القول اصدقه ... ان الكتائب لا يهزمن بالكتب

تهدى الوعيد باعلى الرمل من اضم ... فان اردت مصاع القوم فاقترب

وان تغب في جمادى عن وقائعنا ... فسوف نلقاك في شعبان او رجب

اما قوله: ان الكتائب لا يهزمن بالكتب. فهو معنى ما كنا نتوهم ان احدا من الشعراء قديما او محدثا اتى به غير ابي تمام في قوله:

السيف اصدق انباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

حتى رأينا قول هذا الشاعر فعلمنا ان ابا تمام عائل عليه واليه اشار وفي هذا البيت على انه قديم المعنى قويم وهو قوله ان الكتائب لا يهزمن بالكتب الا ان بيت ابي تمام اتم شرحا واحسن تلخيصا من القديم وعليه حذا ابو تمام وهو له تبع ومثل المعنى الاول قول ابي تمام: يبادرونني كأني في اكفهم الخ ومثل الآخر: مثله لدرك بن عمير: مثله لعيزيد بن انيس: مثله لعبد الله بن الزبير الاسدي.

والاصل في هذا المعنى قول عنترة :

ولقد خشيت بان اموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم اشتمهما والناذرين اذا لم القهما دمي

حدثنا الصولي عن ابي العيناء قال : قال ابو عمرو بن العلاء انصرفت يوما وقت الهاجرة من مجلسي في المسجد الجامع بالبصرة وكان يوما حارا فبينا انا في بعض الشوارع اذ سمعت خلفي صرير نعل فالتفت فاذا عيار متشح بازار احمر فقبض علي واخرج من حجزته سكينا فوضعها تجاه قلبي ثم قال كيف تروي يا ابا عمرو بيتي عنترة : ولقدخشيت بان اموت والبيت الاخر الذي يليه فانشدته:

ولقد خشيت بان اموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم اشتمهما والنـاذرين اذا لقيتهمـا دمي

فقال اياك أن ترويهما هذه الرواية فما كان عنترة يستحق هذا الاستخذاء فوالله لو لاخلتان احدهما اني لم اتقدم اليك بشيء والاخرى ان اضع اهـل الارض بك لمكنتها يعني السكين من قلبك . فقلت كيف ارويهما جعلت فداك الثـ قال اروهما :

ولقدخشيت بان اموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي بما هو فيهمـا والناذرين اذا لم القهما دمي

قال ابو العيناء فما رواهما ابوعمرو الى ان مات إلّا هذه الرواية

منظور بن الربيع العامري : الم تعلموا اني اذا رمت فتكة الخ ، وقريب منه قول الشاعر الخ ومثله الخ

وهكذا يذكر معنى البيت وما ورد له من الاشباه والنظائر . واليكم انموذجا آخر عن صفحات اخرى من الكتاب نذكرها على سبيل الاجمال.

زيد الخيل الطائي :

واتني كلثلاء اللجام ولن ترى اخا الحرب إلّا اشعث اللون اغبرا
اخا الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

مثله له ايضا : وليس اخو الحرب العوان الخ ، لهدبة بن خشرم مثله : وليس اخو الحرب بدن اذا ما الخ. مثله : وليس اخو الحرب العظيمة بالذي الخ

مثله لابن الاصلت : قد حصت البيضة راسي فما الخ . ولما قال الحطيئة اذا هم بالاعداء لم يثن همه الخ. اخذه كثير فاجاد واحسن بقوله الخ. ابن عسلة النمري

ابى لي الله ان اموت وفي صدري غم كانه جبل
يمنعني لذة الشراب وان كان رحيقا مزاجه عسل الخ

مثله لعمر بن مرة الشيباني اليوم حل لي الشراب وما كان الشرب يحل قبل الخ ، مثله لضمرة بن ضمرة الخ . مثله لسعد بن ابي عمرو التيمي حلت الخمرة اذ لاقيت سيدهم الخ . مثله للدعبس الكندي يمدح امرأ القيس بن حجر الخ . واول من اخترع هذا المعنى امرؤ القيس بن حجر الكندي لما قتلت بنو اسد اباه فانه آلى ان لا يشرب خمرا الخ . فاما قول ابي نواس في مجلس منحل السرور به الخ . وكذا ايضا قول البحتري الخ . كعب بن مالك الانصاري : ونحن اناس لاترى القتل الخ ، مثله للسموءل ونحن اناس الخ . مثله للراجز الخ. مثله لسعد بن مالك الشيباني الخ. مثله لرملة الخزاعية الخ مثله لحكيم ابن قبيصه الخ ، مثله للحرث بن اوس الطائي ومثله للاعرج القيني الخ »

ويقول في موضع آخر قال الحريش ابن هلال التميمي :

اعاذل ما وليت حتى تبدت رجالي وحتى لم اجد متقدما الخ

قد اعتذر جماعة من الفرسان من فرارهم لما عيروا به وكل استنبع بحجة ونحن نذكر ههنا شيئا مما قالوا في ذلك . قال هبيرة بن ابي وهب وكان مع المشركين في يوم بدر فلما فر عير بذلك فقال لعمرك ماوليت ظهري محمدا الخ . مثله لنبيه بن يقظان لاتعذلوني في الفرار فانما الخ . مثله الخ ذكر هذا الشاعر انه قاتل حتى خرقوا ترسه بالطعن الا انه فر لما كثروا وقد ذكر قوم من الشعراء ان فرارهم كان بشهوتهم من غير قتال منهم القابل وكتيبة ابيضها بكتيبة الخ ومن احسن مالابي الغمر في هذا المعنى قوله الخ وابو الغمر يجود في هذا المعنى واكثر شعره فيه ونحن نثبت له اشياء من جيد قوله في مواضع من الكتاب . وقد ذكر جماعة منهم فرارهم على ارجلهم وغير آخرون بفرارهم على الخيل فمن فر على وجله واعتذر ابو خراش الهذلي بقوله فلو لاادراك الشر باتت حليلة الخ ومثله ايضا لم الخ . مثله للاعلم الهذلي الخ ، مثله لعمر بن معدي الخ ، مثله لتميمة بنت وهبان المزنية الخ ، مثله للاشهل 1

مثله لنعيم ابن سفيان التميمي ولما رأيت الخيل جاءت كانها الخ .

وهكذا يجري على هذا النمط حتى ينتهي الى آخر الكتاب وقلما يذكر الشعراء المولدين شيئا إلامارأيتموه في اول الكتاب فقد اكثر منه بالقياس الى سائر الكتاب ويقول في آخر الكتاب « هذا آخر الابواب وخاتم الكتاب وانقطاع الخطاب» فيظهر ان الكتاب مرتب على ابواب وانلم يذكرها مفصلة في اثنائه ولكنك ترى في اطراف بعض صفحاته هذه الاعداد وقدذهب سكين الصحاف ببعضها « خامسة » « سابعة » «عاشرة» وهكذا فالرجاء من سيادتكم ان تبحثوا عن حقيقة هذا الكتاب في المظان التي تعرفونها حتى نقوم باحياء هذا الاثر النفيس وتمثيله للطبع ولكم مني وافر الثناء وجزيل الشكر .

طهران السيداحمد النجفي

(ل . ع) لايمكننا الاهتداء الى هذه الخمسة فهل من اديب يهدينا الى صاحبها؟

كتاب المقامات لابن الالوسي

بينما كنت انقب (سنة ١٣٣٩ه) بين كتب احد الكتبيين في الكاظمية وقع نظري على سفر صغير مطبوع في كربلا سنة ١٢٧٣ه ومكتوب في صدره : (هذا مقامات ابن الالوسي عليه الرحمة)

وكلما رددت طرفي فيه لم اعثر على اسم مؤلفه

بيد انه يظهر من الكتاب ان مؤلفه كان معاصرا لداود باشا (والي بغداد) وعبد الغني الجميل البغدادي والسيد محمود (نقيب اشراف بغداد) وانه قرأ مدة على الشيخ علي علاء الدين الموصلي فيظهر مما ذكر ان مؤلف هذا الكتاب الادبي النافع هو السيد شهاب الدين محمود الالوسي .

محمد مهدي العاري